

مقدمة لمصطلح علمي

بقلم الدكتور خير الدين حقي

عميد كلية الهندسة بحلب ووزير الصناعة حانيا بسورية

+ علينا أولاً أن نستفيد من جميع امكانيات لغتنا

ولا غشاضة بعدها في ادخال الاعجمي

+ لقد عربنا التعليم في جميع مراحلها في الشرق العربي ، وكذلك الادارة وبهما ارتفعت سوية اللغة الدارجة أيضا الى حد قرب بين اللهجات في مختلف الاقطار .

وأخر يقول « نريد » وثالث يقول « نقصد » ورابع يقول « نروم » وهكذا حتى أصبحت الطبقات الشعبية في مختلف الاقاليم والمناطق لا تكاد تتفاهم بينما كلنا نتكلم باللغة العربية ونستقي من لغة فصيحة واحدة على ان نطلع على اللغة الفصحى يمكنه ان يفهم كل ناطق باللغة العربية وان يرد الكلمات الى أصلها ولكن لا يمكن له مع ذلك ان يفهم مراده لغيره من عامة الناس الا اذا استعمل المتحدث الكلمات التي ألف المخاطب استعمالها وكيف يتسنى له ان يعرفها لأول وهلة ؟

على ان هنالك أيضا كثيرا من الكلمات الشائعة جدا وقد تخفى حتى على المطلعين فيقال في المغرب « شرشب » وفي المشرق « شباك » وانني لم أفتش عن هذه ولا تلك في القواميس لاعرف الصحيحة منهما . ولكن يخيل لي ان شباك قد تكون من شبك وهو النافذة المحددة بقضبان الحديد وليست النافذة بشكل عام كما نطلق نحن هذا الاسم . وقد تكون « شرشب » هي الكلمة الصحيحة . ومن هنا يتطرق الشك الى نفسي ويجعلني مضطرا لاعادة النظر في كثير جدا من المفردات التي تلسقنتها والتي لم اكن لافكر مطلقا ان الريب يمكن ان يتطرق اليها .

وانا كانت كلمة « شرشب » او كلمة « شباك » مما يرد كثيرا في علم الهندسة المدنية لدراسته ودراسة انشائه ومقاييسيه وما يتبعه من عوارض ومصراعين وخشب وزجاج وغيره فان هذه الكلمة وهي كلمة علمية يجب ان نحدد معناها بالضبط وان نتفق على كلمة

علق في ذهني ما قاله احدهم استطرادا لمحاضرة مقدمة لمؤتمر التعريب ومصدرة بعنوان « مشاكل التعريب » فنفي المعلق الكريم ان يكون للتعريب مشاكل وأوضح الخطوات التي اجتازتها الشعوب العربية في المشرق وعدد المصطلحات العلمية الضخم الذي تم الاتفاق عليه مما نزل كل هذه الصعوبات ، كما المص الى الاعمال الجبارة التي تقوم بها الجامعات اللغوية والاتحادات العلمية في هذا المضمار مما يمكن القول معه ، على حد تعبير الاخ المعلق انه لم يعد هناك ما يسمى بمشكلة التعريب .

ولكننا لو فتحنا أي كتاب من كتب الحساب المطبوع في المغرب (واعتقد ان صاحب مقال مشكلة التعريب هو مغربي) لوجدنا ان كلمات « مشكلة » في المغرب مرادفة لكلمة « مسالة » عندنا في المشرق العربي فليس لكلمة « مشكلة » هنا ذلك المعنى الثقيل الوزن الذي نعنيه هناك . ولو ان صاحب المقال صدر محاضرتيه بعنوان « مسائل التعريب » بدلا من « مشاكل التعريب » لكانت حوت هذه العبارة على انظار المعلق الكريم دون ان تحدث في نفسه كل هذا التأثير وتوجهه لكل هذا الاسهاب والدفاع عن موضوع لم يكن كاتب المقال نفسه يقصده . فكلمة « مشكلة » خلقت « مشكلة » .

هنا ما نقصده من حديثنا الان عن توحيد المصطلحات العلمية ان اللغة العربية كثيرة المفردات واختار كل شعب عربي اللفظ الذي يروق له فشعب يقول « ينبغي »

صحيحة للدلالة على ما نقصده .

الوسائل التي ان احسننا استخدامها زدنا في هذه الثروة الى حد كبير .

فعلينا اولا أن نستنفد جميع امكانيات لغتنا ولا غضاضة بعدها في ادخال الاعجمي فذلك سنة من سنن جميع اللغات اذ ان حياتها في الاخذ والعطاء كما قال أحد الزملاء وانا من المؤمنين بهذا . كما يجب ايضا عدم التواني لان عصرنا عصر الهندسة والاختراعات الى حد بعيد وفي كل يوم تدخل في حياتنا كلمات جديدة تستعملها الخاصة والعامة . فلا ينتظر مصلح السيارة مثلا أن نعطي الكلمات العربية الصحيحة لاجزاء الآلة التي بين يديه بل يفرض علينا : الفرمان والبستون والسليندر والصواب والكولاس والبطارية ... وغيرها فالى أن نعطي مسمياتها العربية : الرادعة والمكبس والاسطوانة والصمام والغطاء والنضيدة تكون الكلمات التي ادخلتها العامة قد درجت واصبح من الصعب على الكلمات العربية ازاحتها .

وانا تقرر هنا فأي شيء ليس علميا ؟ ان كل ما يقع عليه نظرنا من اشياء أو حيوانات أو نباتات هي علمية فان لم تدخل في علم تدخل في آخر ويقاء كثير من المسميات غامضة المفهوم أو متعددة الاسماء وان كانت كلها صحيحة فانها تخلق بلبلة في التعابير وهذه هي المشكلة نسموها مسألة أو مشكلة أو معضلة ، كما تحبون فهي على كل حال واقعة ويجب أن نجد لها حلا ولو لم تكن هناك مسألة أو مشكلة أو معضلة لما كان لوجود المجامع اللغوية ولا الاتحادات العلمية ولا حتى لاجتماعنا هنا أي معنى . فالقضية تحتاج لمعالجة على النحو الذي صورته وهي معروضة على مؤتمر الكرم للنظر فيها .

أما اللغة العربية وقد استوعبت فيما مضى العلوم والمعارف وخدمت احضارة فهذا ما لم نشك به .

وان اللغة العربية تتسع اليوم لكل المعاني العصرية فهذا ما لم نشك به ايضا .

وان التعريب ضروري لا مندوحة عنه في بلد عربي فهذا كذلك ما لم نشك به .

وما اعتقد أنه من الضروري البحث في هذه الموضوعات التي فرغنا منها وآمنا بها .

لا ينسب الضعف للغتنا الا الجاهل بها ، فطنة حوت عدة أسماء للشيء الواحد هي لغة غنية مخدمومة . ولعنا نعاني من اتساعها ووفرة مترادفاتنا أكثر مما نعاني من ضيقها اذ خلقت لنا هذه السعة مشكلة تعدد اللهجات الدارجة التي هي أحيانا كثيرة لم تستعمل فيها المسميات في مواضعها الصحيحة ، وقد حان الوقت لضبطها وصبها في قوالبها السليمة . فان فعلنا فانا سنقع على ثروة مذهلة ، نعم سنقع على ثروة مذهلة . فكثيرا ما اتفق لى اننى كنت أبحث عن ترجمة لكلمة

أجنبية فحرت بين الكلمات التي تعطي المعنى الصحيح نها ، لان الدقة في الكلمات العربية بلغ حد الروعة فمثلا كتب عن ترجمة للكلمة الفرنسية étang فلم تكن هي بركة ولا بحرة ولا بحيرة ولا غور ولا مور ولا مستنقع ، وكل ما أعرفه من اللفظ في هذا المعنى لم يرضنى . ففتحت القاموس وفتشت فوقعت على أكثر من عشرين لفظا تحيرت بأى منها آخذ لدقة معانيها : فان تجمعت المياه في أرض صخرية فاسمها كذا وان في أرض ترابية فكذا وان كان ماؤها أسنا فهي كذا وان كان يخترقها جدول فهي كذا وان كانت تجف فهي كذا وان كانت ضحضاحة فهي كذا أو عميقة فهي كذا وكذا وهكذا . فآية ثروة هذه بين أيدينا ؟ وبالإضافة الى ذلك فان طرق النحت والاستقاق والقياس والتشبيه وغيره من

ولو أننا نأخذ عن لغة أجنبية واحدة لهان الامر ولكن المصيبة ان كل قطر يأخذ بحكم ماضيها القريب عن اللغة الاجنبية التي كانت مفروضة عليه ، فتباعدت بذلك المفردات المستعملة في كثير مما نستعمله صباح مساء ، وبهذا تتجسم المعضلة مع مرور الايام ان لم نبادر لمعالجتها .

وأصحاب الصحف والمجلات والانايعات ومكاتب الاخبار هم ايضا يفرضون علينا أسماء كالقمر الصناعي والنفاثة والصاروخ والاشعاعات الذرية وغيرها الا ان خطر هذه الكلمات أقل لانها تعم فتشمل العالم العربي كله فلا يقع التباس في مفهومها ، كما أن واضعها على سوية حسنة باللغة العربية والاجنبية على الاغلب .

لذلك يجب أن نولي عنايتنا للمعانيات من الالفاظ ونتفق على توحيدها فلا يكون للشيء الواحد الا اسم واحد ويستعمله كل عربي في أي جزء من أجزاء وطننا الكبير .

لقد عرينا التعليم في جميع مراحلها في الشرق العربي وكذلك الادارة وبهما ارتفعت سوية اللغة الدارجة أيضا الى حد قرب بين اللهجات في مختلف الاقطار ، ولكن اشتغال كل قطر من ناحيته دون أن تكون بين العاملين رابطة أورثتنا ألقاظا متعددة للشيء الواحد فتجد في كتب مصر المدرسية «البندول» وفي سوريا «النواس» وفي الاردن «الرقاص» وفي لبنان «الخطار» وأمثالها لاشياء أخرى كثيرة مما جعل قراءة كتب مصر في لبنان مربكة وكذلك كتب لبنان في العراق وهكذا . ولا حاجة للقول بان النتيجة الحتمية لهذا الوضع هي صعوبة

التفاهم باللغة العربية بين المثقفين في المؤتمرات العلمية أو حينما يراد القيام بعمل علمي مشترك بينهم ولذلك تراهم يستعملون بالانفاظ الاجنبية أحيانا إذا ما أرادوا دقة التعبير فيما اختلفت تسميته .

لا يعيب أحد علينا هذا التباين في المسميات ، بل على العكس أنني أرى في هذا التباين تاريخ جهاد رائع لامة لم ترض عن لغتها بديلا حيثما كان الاستعمار يحترق على السوري أن يجتاز الحدود الى الاردن والاردني إلى لبنان والمصري الى العراق ومع هذا فقد قام العرب في كل قطر يعملون . وقد عملوا واننا نبارك جهادهم .

على ان اليوم بعد أن أصبح لقاؤنا حرا يصبح من العار الابقاء على الوضع الراهن من التباين . وإذا كانت مساعي الاتحادات العلمية ومجامع اللغة العربية تعمل جاهدة وقد أخرجت لنا عشرات الآلاف من الكلمات التصحيحية فأننا نأمل أن تنتشر هذه الكلمات ويعم استعمالها في سائر بلادنا العربية .

من هذا العرض الذي أوضحته عن المصطلحات العلمية نرى بأننا جميعا ما زلنا نعاني معضلة واحدة وأن تفاوتت في الدرجات . فنحن في الشرق قطعنا النهر عند روافده الواحد تلو الآخر على مر سنين عدة فلم نشعر بالصعوبات التي يواجهها المغرب الآن التي يحاول لحاق الركب بقطع النهر عند لفته بعد أن تجمعت كل روافده في المجرى الكبير فيقف أمام اللجة وفي نفسه شيء من التهيب ، ولا أغالي أنا قلت أن البعض يرى في عبور النهر دفعة واحدة من شاطئه لشاطئه مجازفة خطيرة .

والواقع أن هناك مشكلة لا ريب فيها وتخصنا جميعا ولكني لا أجاري الذين يريدون أن يجعلوا من الحجة قبة لأن هذا يثنينا عن العمل ، كما أنني لست من الذين يتصورون غور البحر الى الخخال لأن هذا يغرينا بالكسل . فالقضية على حقيقتها لا تتطلب أكثر من الايمان المقرون بالجد والعمل المشترك والداب المتواصل كما تفعل كل أمة مؤمنة بكيانها . ولعلنا نحن ، كما أردد ذلك دائما ، أحوج ما نكون الى تعريب الفكر قبل تعريب اللسان ، أو كما قال أحد الزملاء بصيغة أدق : بحاجة الى تعريب الضمير قبل تعريب اللسان .

هذه هي الصورة الصادقة لاختلاف لهجاتنا واختلاف لغتنا العلمية وأسباب هذه الاختلافات وأخطارها ان استمرت ، فأذا لم نتعهدها بالعمل المشترك الذي يستهدف التوحيد العاجل في لغة المدرسة ولغة الدواوين ولغة الشارع ولغة البيت فأننا سنتباعد أكثر فأكثر .

وإذا آمنا بلغتنا وآمنا بسؤيدها فنذلك لأن فيها كرامتنا وتحرير أفكارنا من السيطرة الأجنبية ومن التبعية ، ولأن في سؤيدها انطلاقنا كشعب واحد ، لا كأفراد ، الى ذرى المعرفة والحضارة ، فسيادة اللغة العربية في البلاد العربية تدفع شبابنا الى التقاف العلم حيثما طاب لهم في جميع العالم وفي مختلف البلاد لا في بلد معين . ومتى حصلوا على هذه المعارف صبوها بعد هذا بلغتهم العربية السليمة الى من دونهم من أفراد الشعب الذين سيفهمونهم وينتفعون وذلك أجدى وأقرب من تعليم الشعب كله لغة أجنبية معينة وجعل الشباب مكرهين أمام هذا على تعلم تلك اللغة دون سواها واقتصارهم على ثقافة تفرض عليهم فرضا ، وبالتالي الارتباط بمعجلة الامة صاحبة هذه اللغة الى الابد والسير في ركابها وهو ما لا يليق بشعب حر هذا فضلا عما يقتضيه تعليم الشعب برمته ، هذه اللغة الغربية عنه على حساب لغته من تكاليف يدفعها ليهدم بيديه أكبر مقومات شخصيته وهي لغته وليزعزع ثقته بنفسه ويكياه . وهذا هو الموت المعنوي للشعب متى بلغ هذه المرتبة من التردى .

ان التعريب اذن في معناه الشامل الموحد بين جميع البلاد العربية هو عزة وكرامة وحضارة ومعرفة لكافة طبقات الامة . والابطاء به جريمة قومية وامتهان بحقوق المواطنين الذين يتطلعون الى حياة أفضل مبنية على أسس من ماضيهم ومن أنفسهم ومن وجدانهم .

وأما الوصول الى هذا الهدف فان جهودا مشكورة تقوم بها جميع الاقطار العربية في مجامع اللغة والاتحادات العلمية ومعاهد التعريب وعلماء وأساتذة يضيفون كل يوم أشياء جديدة ولا يعوزها الا التنسيق . والبحث عن التنسيق .